**المحاضرة : الأولى في مقياس الحداثة في الأدب العربي**

**المستوى : الثانية دراسات أدبية**

**السداسي الثاني**

**الأستاذة كاهية باية**

**عنوان الدرس :الحداثة**

**مدخل :**

الحداثة مذهب فكري يسعى إلى نبذ القديم السائد من العقائد والشرائع والقيم ، ويدعو إلى رفض الثابت المعروف والمألوف ، وهي حركة ترمي إلى التجديد والثورة على كل قديم وتحطيم وهدم كل موروث تبناه المجتمع في شتى مناحي الحياة ، حيث إن الحداثة لا تقتصر على الجانب الأدبي فحسب الذي ينحصر في الكتابة والشعر والرواية والقصة وغيرها أو في الفن عموما ، وإنما تتعداه إلى جميع الموضوعات التي لها علاقة بالإنسان فهي تشمل كل موضوع وأي موضوع يدخل في اهتمامات الإنسان الحديث هي إذا مدرسة سيرة تشتمل على الفكر، والعقيدة ،والثقافة ،والأدب ،والفن ،والسلوك، والقيم والمفاهيم، والحياة عموما ،والحقيقة أن الحداثة هي الجديد في كل عصر فلكل قديم حديث ، و كل مرحلة لاحقة من مراحل البشرية تعد حديثة بالمقارنة مع المرحلة السابقة ، و ما نعايشه اليوم سيصبح لا محالة قديما بالنسبة لما سوف يكون مستقبلا ، وعلى هذا يمكن اعتبار كل مرحلة طريق عبور للمرحلة التي تليها، لذلك فهي في المفهوم العام جاءت كمجموعة تحولات عصفت بالمسيرة الشعرية والنقدية على السواء ، فتغلغلت إلى جوهر الحداثة لذلك برز في مرحلة ما من التاريخ الأدب العربي شعراء ثاروا على المسار القديم ورفعوا راية التجديد ، إن على مستوى هيكل القصيدة الجاهلية ، وكان من أبرز الشعراء وأولهم "بشار بن برد " ثم توالت بعد ذلك وعلى المسار ذاته

محاولات الشعراء ولا أدل على ذلك من الشاعر الأشهر "أبو نواس " وتلاه بعد ذلك "أبو تمام" الذي جنح إل اختيار الغموض منهجا وسبيلا لمساره الشعري فيما بعد ،وإن كان هذا الأمر قد خص وميز شعراء المشرق ، غير أن الأمر في الغرب يختلف عن ذلك نوعا ما ، إذ ظهر نوع جديد من الشعر خاصة في الأندلس وهو شعر " الموشحات "و "الأزجال "، وإذا تتبعنا الشعر بعد ذلك إلى العصر الحديث والمعاصر فقد تجلى الأمر بلا ريب في ظهور " الشعر المرسل " لدى الشاعر "عبد الرحمان شكري" وكذا عند " جبران خليل جبران "...وأردفهم "شعر التفعيلة "الذي قلب الموازين وأحدث ضجة كبرى على مستوى النقد والأدب العربيين ، والذي تبنته الشاعرة العراقية "نازك الملائكة " وزميلها " بدر شاكر السياب "، ثم توالت المحاولات التي تمسك أصحابها بهذا النوع من الشعر بل راحوا يبدعون حينا ويتبعون أصحاب التيار الغربي ويسيرون وفق قواعده ومبادئه من أمثال حامل لواء الحداثة للأدب العربي "أدونيس "وكل من الشاعر " يوسف الخال " و"محمود درويش" وغيرهم كثير .

ورغم التفاف الكثير من الشعراء العرب وغير العرب على هذا التيار إلا أن هذا الأمر تسبب في ظهور تيارين متعصبين وثالث اخترقهما يمكن أن يكون معتدلا أمسك العصى من وسطها ، فمن مؤيد إلى معارض ظهرت الكثير من المفاهيم والتعريفات والآراء وهذا ما سوف نطرق إليه في لاحق الدروس.

**مفهوم الحداثة :**

لغة :ورد ذكر الحداثة في معاجم اللغة كنقيض للقديم ، ومنها معجم لسان العرب : الحديث نقيض القديم ، والحُدُوثُ نقِيضُهُ القُدْمَةُ ، جَدَثَ الشيءُ يُحْدِثُ حُدُوثأ وحدَاثَةٍ، وأَحْدَثَهُ هُوَ، فهو مُحْدَثٌ وحَدِيْثٌ، وكذلك اسْتَحْدَثَهُ[[1]](#footnote-2) ، كما استخدم العرب حَدَثَ مقابل قَدُمَ بمعنى أن الحداثة في مفهومها تدل على الجِدَةِ والحديث أي الجديد .

ولعل كلمة الحداثة كان لها حُضُوْرْ في القرآن الكريم في عدة مواضع والكثير من الصيغ أهمها : حَدَثَ ، يُحْدِثُ ، مُحّدَثٌ ، تَحْدُث من خلال الآيات الآتية الذكر وهي :

قال تعالى :"قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتىَّ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا "[[2]](#footnote-3).

أَيْ حَتَّى أَوْجَدَ لَّكَ مِنّْهُ ذِكْرا وَتَذَكُرا .

وقوله:" مَا يَأْتِيِهِم مِّنْ ذِكْرٍ مًن رَّبًهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ[[3]](#footnote-4)"

حدث كذا وبكذا تحديث ، خبر ، خبر ونبأ جديد.

ويقول تعالى :"يَوْمَئِذٍ تُحَدًثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا "[[4]](#footnote-5)

أي تعلن أخبارها وأنبائها .

وفي معجم العَين ورد ذكرها :"صار فلانا أحدوثة ، أي كثروا فيه الأحاديث ، شَابٌ حَدَّثَ وشَابّة حَدَثَّت في السن وَالحَدَثُ مِنْ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ شِبْهُ النَّازِلَة ، وَالأُحْدُوثَةُ : الحَدِيْث نَفْسُهُ ، وَالحَدِيْث: الجَدِيْد من الأشياءِ ، والحَدث الإبداء"[[5]](#footnote-6).

كما ورد ذكرها في معجم الوسيط لمجمع اللغة العربية مادة حدث :" الحِدْثَانُ ،يُقال حَدَثَّانُ الشَبَابِ وَحِدْثَانُ الأمرِ ، أوّله وابتداؤه .[[6]](#footnote-7) ، كانت هذه بعض الدلالات اللغوية لمفهوم الحداثة في بعض المعاجم .

أُطلِقَ مصطلح الحداثة في عصرنا على التحولات الفكرية التي حصلت في العصر الذي تلا النهضة الأوربية بعد الثورة الفرنسية ويسمى بالعصر الحديث.

"يؤكد محمد برادة أن الحداثة مفهوم مرتبط أساسا بالحضارة العربية وسياقاتها التاريخية ، وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة ، و يصل في النهاية إلى أن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخيا بوجود سابق للحداثة الغربية ، وامتداد قنوات التواصل بين الثقافتين "[[7]](#footnote-8).

" عصرنة ،أو تحديث عن أي عملية تتضمن تحديث MODERNITYوتعد كلمة "حداثة " الإنجليزية

وتجديد لما هو قديم ،استخدم مصطلح الحداثة لأول مرة من قبل الشاعر الفرنسي " شارل بودلير"

و الحداثة في الوقت الحاضر تشير إلى فترة تطور الفكر الاجتماعي كما والى Charles baudlaire »

" وإلى نشأة العقلانية في كثير من anthony giddensمركزية الدولة القومية –كما يقول

، ترتب على max weber مجالات الحياة الاجتماعية على سبيل المثال ..بيروقراطية ماكس فيبر " ذلك تطور كبير في مجال الابتكار التكنولوجي من الممكن إقران بداية الحداثة بالثورة الصناعية الثانية ونشأة الوضعية ، التي أصحابها من مؤيدين القيم المادية والعلمية البحتة "[[8]](#footnote-9).

ومن أبرز سمات الحداثة الثورة الأبدية في كل عصر ، وعند كل جيل ، تأمل قول كالينيو :" إن الحداثة في جوهرها ظاهرة تعكس معارضة جدلية ثلاثية الأبعاد : معارضة للتراث ، ومعارضة للثقافة البرجوازية بمبادئها العقلانية والنفعية ، وتصورها لفكرة التقدم ومعارضة لذاتها كتقليد ، أو شكل من أشكال السلطة أو الهيمنة ، والحداثة عند نورين "تستبدل فكرة الله بفكرة العلم ، وتقتصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة لكل فرد" إذن فالحداثة في الغرب تمثل : مذهبا فكريا رافضا للثوابت والمسلّمات القديمة من العقائد والشرائع ذات الطابع الكنسي الشمولي ."[[9]](#footnote-10)

**الحداثة عند الغرب :**

ظهر تيار الحداثة عند الغرب نتيجة للمد الطبيعي الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثنية في العهدين اليوناني والروماني ، امتدادا إلى عصر الظلمات ، مرورا بالعصور المتلاحقة التي تزاحمت بكل أنواع المذاهب الفكرية والفلسفات الوثنية المتناقضة والمتلاحقة ، وقد كان كل مذهب عبارة عن ردة فعل لمذهب سابق ، وكل مذهب من المذاهب كان يحمل في ذاته عناصر اندثاره وفنائه.

وقد اختلف الغربيون في التأريخ للظهور الفعلي للحداثة عندهم ، حيث استخدم لفظ الحداثة مرادفا للرومانسية واستعمل كذلك في وصف الأجواء العامة للأدب الأوروبي ، واستعمل كذلك في وصف حركة ثورية جارفة في الحضارة الأوربية لذا اختلف الباحثون في تحديد نشأتها تبعا لتحديد مفهومها الدقيق ، مع اتفاقهم على خصائصها وأسسها العامة ، فأصبح كل واحد من الباحثين يحدد بداية الحداثة بناء على ما يعرفه من حركات ثورية تغيرية ، وبناء على ما علمه من تلك الحركة الثورية هي الأولى ، فأطلق عليها لفظ الحداثة .

ويجمع الباحثون على أنها نشأت في فرنسا عام 1830م وكان الحداثي الفرنسي" شارل بودلير" مؤسسها الأول "1827-1867"هو أول من قدم في مجال الأدب صياغة نظرية الحداثة، وتحددت الحداثة تقريبا بدءا بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر على اعتبارها نظرية "بودليرية "، وكان" إدغار آلا ن بو" –الأمريكي – من رموز المدرسة الرمزية التي تمخضت عنها الحداثة في جانبها الأدبي على الأقل وقد تأثر به كثير من الرموز التاريخية للحداثة مثل "ملارميه "و"بول فاليري" و"قي دوموباسان" ، وكان المؤثر الأول في فكر وشعر "بودلير "أستاذ الحداثيين في كل مكان ومعظم فلاسفة الوجودية هيجل ، وعلى آثار "بودلير" و "رامبو " وغيرهما وصلت الحداثة في الغرب إلى شكلها النهائي على يد الأمريكي اليهودي" عازرا باوند" والإنجليزي" توماس إليوت"

وعموما تنظر الحداثة الغربية إلى الإنسان ـ  الملتزم دينياً أو من يتسم بمثل خلقية معينه ـ على أنه يعيش حالة "**استلاب**"، سرقت الأديان والتقاليد شخصيته، ولا سبيل إلى فك طوق الاستلاب عنه إلا بتحريره الكامل من كل عرف، وإعلاء قيمة الفرد، ومنحه حرية مطلقة، يصبح  معها مدار الكون ومحوره، وصاحب حق التشريع فيه ،لذلك حاربت الحداثة الغربية كل قيد وشرط وراحت تعمل على تحرير البشرية على حسب مبادئها من كل ما يحد ويقيد هذه الحرية وفي شتى مجالات الحياة .

الحداثة بهذا المفهوم هي تيار لا يؤمن بأي ثابت من الثوابت ، كيف لا وهي تيار يعادي كل الأديان والأعراف والعادات والتقاليد المجتمعية التي يعتبرها قيودا تحد من حريته ،وعليه وجب قطع كل صلة بهذا الماضي وكسر كل الروابط التي تجمع بينهما وقطع كل الجسور الممتدة بينهما .

نجد مصيرنا وأرضنا الموعودة في عالمنا هذا الذي نعيش فيه، وإلا فلن نجدهما على الإطلاق ".

**جذور الحداثة الغربية ومصادرها:**

(1) الفلسفات اليونانية والرومانية وما انطوت عليه من عقائد وأفكار وثنية، ومذاهب إباحية .

(2) العقيدة اليهودية والنصرانية، إذ أن كثيرا من الحداثيين العرب تأثروا بهما ، واتضح ذلك من أفكارهم وآدابهم .

(3) الشيوعية المتضمنة للمادية الجدلية، والصراع بين المتناقضات، وكثير من الحداثيين هم من أتباع "هيجل" و"انجلز "و"ماركس" .

(4) المذاهب الغربية التي ثارت على الكنيسة، وتمردت على جميع الأديان.

(5) الفلسفة الوجودية، ورائدها "جان بول سارتر"، حيث سلك سبيله كثير من الحداثيين، الذين دعوا إلى الفرار من الحياة عن طريق الأحلام والخيالات وتقديس وجود الانسان وذاته.

(6) عبادة العقل و الطبيعة و الجنس و الذات ونحو ذلك مما أفرزته الأزمات الفكرية والسياسة والنفسية والاجتماعية في أوربا.

  وقد تميزت الحداثة بظهور عدد من المذاهب الفنية والفلسفية التي تعبر عن هذه الأزمة –ك"الدادية "و "الرمزية "وا"لسريالية" و"الوجودية"- والتي تختلف فيما بينها، لكنها تشترك في مجموعة من الخصائص التي تعد مميزة للحداثة الغربية، منها:

1.التمرد على القوانين وطرق التعبير اللغوي والتقاليد الفنية المألوفة باعتبار الفن حركة مستمرة إلى الأمام، والتجاوز المستمر لكل ما يتم إنتاجه وتكريس منطق القطيعة.

2 . تحرير الفرد من سلطة المؤسسات بكل أنواعها، ومن ضمنها مؤسسة الأسرة التي تعد في نظرها صورة من صور القهر.

3. إلغاء المعنى المسبق في النصوص، انطلاقا من مقولة موت المؤلف- والقول بالدلالات غير النهائية للنص، وتكريس مذهب الشك في كل الحقائق والمفاهيم.

4. اعتبار الدين تجربة بشرية قابلة للتجاوز ضمن ما تتجاوزه الحداثة، وإلغاء سلطته من خلال علمنة المجتمع، وإلغاء سلطة الأخلاق في مجال الإبداع.

5. تمجيد التجارب المتأخرة زمنيا .

6. تمجيد التفكير العقلاني، ووضعه في مقابل التفكير الديني، واعتبار هذا الأخير عائقا أمام الحداثة لاعتماده على المعرفة الوثوقية واليقينية، وإحلال العقل ومنجزاته العلمية محل الله في مركزية المجتمع.

7. تمجيد الجسد والارتفاع به إلى مستوى التقديس.

8. التعبير عن مفاهيم تعكس وضعية التشرذم والأزمة التي يعيشها الإنسان الغربي كمفاهيم الغربة واليأس والضياع...

ذلك هو مفهوم الحداثة الغربية، وتلك هي أهم خصائصها التي تعكس وضعية حضارية متأزمة يعيشها الإنسان الغربي على مستوى القيم.

هي أزمة خلقية وأخلاقية عاشها الفكر الأوربي وفشل في تحديد مفهوم صحيح راق للحداثة الحقيقية والتي تسعى إلى التجديد الإيجابي ذلك الذي جاء به الدين الإسلامي حين ارتقى بمفهوم الإنسانية فكرا وروحا وكيانا ، حضارة ووجودا يبقى خالدا على مر العصور ، لذاك وهذا وجب على طلبتنا تناول الحداثة بتحفظ شديد خاصة الغربية منها حتى لا يجرفهم تيار التقدم والتحضر الزائف الكاذب.

**الحداثة عند العرب:**

تأخر ظهور الحداثة في الوطن العربي وذلك لمبادئها المنافية لتعاليم الدين الإسلامي ،خاصة وأن الحداثة في أهم مبادئها تدعو إلى التحرر من كل قيد وشرط خاصة من قيود الدين الذي كانت قد فرضته الكنيسة في القرون الوسطى ، والحداثة في الأدب العربي ما هي سوى فرع من الحداثة في الفكر الغربي ، وهي مثلها مستمدة من الغرب ولادة وحضانة وتنشئة وتصديرا .

ولا يختلف كثير من النقاد في القول بأن جماعة "أبولو" و" الديوان " و" المهجر "تمثل المواقف الممهدة لحركة الحداثة في الشرق وذلك ما ذهب إليه " محمد بنيس [[10]](#footnote-11)"و"صالح طعمة "[[11]](#footnote-12)، و "ديزيرة سقال "[[12]](#footnote-13)، وفاضل ثامر[[13]](#footnote-14)

نقلت الحداثة من الغرب دون تغيير أو تحوير أو تبديل إلى العالم العربي ،فسادت في الأدب العربي مصطلحات بأساليبها ومناهجها النقدية الأدبية الغربية ، وحتى الكلمات وهي تكتب بالحروف العربية لم تعد ذات مضامين وملامح عربية ،وتسللت الحداثة الغربية إلى أدبنا ولغتنا العربية وفكرنا ومعتقداتنا ، وأخلاقياتنا كما تتسلل الأفعى الناعمة لتقتنص فريستها ولا تشعر الفريسة بها إلا وهي جثة هامدة تنقض عليها رويدا رويدا ، هكذا كان تسلل الحداثة إلى عقول معتقديها ومفكريها ونقادها على امتداد الوطن العربي، وتقول الكاتبة الحداثوية "خالدة سعيد " في بحث لها عنوانه الملامح الفكرية للحداثة ":إن التوجهات الأساسية لمفكري العشرينات تقدم خطوطا عريضة تسمح بالقول إن البداية الحقيقية للحداثة من حيث هي حركة فكرية شاملة قد انطلقت يومذاك ، فقد مثل فكر الرواد الأوائل قطيعة مع المرجعية الدينية والتراثية كمعيار ومصدر وحيد للحقيقة ، وأقام مرجعين بديلين : العقل والواقع التاريخي ، وكلاهما إنساني ومن ثم تطوري ، فالحقيقة عند رائد كجبران أو طه حسين لا تلتمس بالنقل ، بل تلتمس بالتأمل والاستبصار عند جبران ، وبالبحث المنهجي العقلاني عند طه حسين ".[[14]](#footnote-15)

والحداثة كغيرها من المذاهب الفكرية ، والتيارات الأدبية التي سبقتها إلى البيئة العربية كالواقعية ، والرمزية ـوالرومانسية ، والوجودية ، وجدت لها في الفكر العربي تربة خصبة ، سرعان ما نمت وترعرعت على أيدي روادها العرب ،من أمثال غالي شكري ، وكاهنها الأول والمُنَّظر لها "علي أحمد سعيد" المعروف " بأدونيس " وزوجته الكاتبة " خالدة سعيد "من سوريا ، و"عبد الله العروي" من المغرب ، "كمال أبو ديب" من فلسطين ، "صلاح فضل" ، "وصلاح عبد الصبور" من مصر ، "وعبد الله البياتي" من العراق ، و"عبد العزيز المفالح" من اليمن ، و"حسين مروة" من لبنان ، و"محمود درويش" و"سميح القاسم" من فلسطين ، و"محمد عفيفي" ، و"أمل دنقل" من مصر ، و"عبد الله الغذامي" ، و"سعيد السريحي" من السعودية ، و"ربيعة جلطي" من الجزائر...وغيرهم كثير.

ويعد ظهور مجلة " شعر " في مطلع 1957م و التي ترأس تحريرها " يوسف الخال " إنعطافة حقيقية للحداثة الشعرية العربية وكان ذلك بمثابة التأسيس لها في الوطن العربي ، حيث يعتبرها " محمد بنيس " اللحظة الثانية ويرى أن الإحساس بالتصدع كان فيها أوسع وأشمل إذ الشعر العربي يتأصل في اختيار العالم الحديث...واستبدت شمولية الحضاري والكوني بالرؤية الشعرية ، وأكدت هذه الرؤية الكونية مسلمات اللحظة الأولى ...وفي هذه اللحظة الثانية نلحظ نقد يوسف الخال للمرحلة الرومانسية في لبنان ، ونقد أدونيس للشعر العربي قديمه وحديثه"[[15]](#footnote-16)

ويرجع الكثير من النقاد جذور الحداثة إلى ما يسميه " فاضل ثامر " ب " الرؤيوية الأدونيسية" [[16]](#footnote-17) ، وتعتبر "ديزيرة سقال" مرحلة ترسيخ حركة الحداثة الشعرية وترى أن أطروحة الحداثة وحركتها ليستا بطارئتين على الفكر العربي بصورة عامة والأدب العربي بصورة خاصة بل نتيجة حتمية لما خلفه الواقع المعاصر ، وهي ليست حركة غربية الجذور بل لها مقوماتها الخاصة وأبعادها المركزية و لا يمكن العودة بها بوصفها حركة وتيارا إلى أبعد من المدة التي أرّخت لها ب1967م ، وعليه فهي حركة أفادت من الغرب كثيرا ومن رؤياه ، ولكنها عبرت عن موقف الحضارة الشرقية وعن أزمتها المعاصرة"[[17]](#footnote-18) "

**الحداثة الشعرية في المشرق:**

لاشك في أن البداية الاستهلالية لكل نص شعري ، أو ما يطلق عليه بالمطلع هو أول ما يلفت النظر وما يجذب القارئ إليه لذلك راح الشعراء يتفننون في عرض الأبيات الأولى من القصيد أو حتى الحروف الأولى منه ، وهذا بحسب الاعتقاد مرده موهبة الشاعر أو حتى حالته النفسية التي تصاحبه وهو يخط أول حروفه على بياض ناصع ، هو البيت الأول الذي له سلطة على كامل النص الشعري ففيه تظهر جليا عبقريته وحسن بيانه بحكم التناسق والوحدة العضوية والموضوعية التي يفرضها فتتضح اللوحة التي يرسمها من خلالها ويبرز الكل من أجل التفصيل في الأجزاء فيحدث التناغم والتوافق في البناء الفني للقصيدة .

الحداثة في الأدب العربي ماهي سوى فرع من فروع الحداثة الفكرية التي استمدت كيانها هي أيضا من الفكر الغربي خاصة بعد الثورة الفرنسية ، حيث حدث التمرد على كل المستويات ، ورفضت الكثير من المفاهيم والأفكار البالية التي ذاق بها انسان تلك الفترة ذرعا باعتبارها قيودا لطالما جثمت على صدره فكرا وعقلا وروحا ، لذلك قيل بأن الحداثة الأدبية تكمن في :"تذوق الإنسان للكلمة وتخلصه من الإيديولوجية المقيتة، وإخلاصه للجمال المحسوس والملموس ، وعمق نظرته للأشياء من الجزء إلى الكل ، ومن الكل إلى الجزء وكلاهما في آن واحد ..." :" و القصيدة العربية الحديثة بهذا المفهوم ماهي سوى :"انعكاس لشخصياتنا وما نريد أن نقوله ...تزيدنا غموضا على غموض تجعلنا مزاجيين ...نرفض السطحية ندمن التعمق ...لا مفر منها إلا إليها "[[18]](#footnote-19)

يتضح مما سبق أن رواد الحداثة لم يكونوا دعاة للتجديد بمفهومه المتعارف عليه في اللغة ولا يعني بالأدب والشعر كما يدعون ، وإنما هم دعاة للهدم والتخريب ، كما يعلنون عن ذلك صراحة في كتبهم النقدية ودواوينهم الشعرية ومؤلفاتهم بشكل عام ، فقد ضل كثير منهم يخلط بين الحداثة كمنهج فكري ، يدعو إلى الثورة والتمرد على الموروث والسائد والنمطي بأنواعه المختلفة عقيدة ولغة وأدبا وأخلاقا ، وبين المعاصرة والتجديد الذي يدعو إلى تطوير ما هو موجود من ميراث أدبي ولغوي ، والإضافة عليه بما يواكب العصر ، و يتوائم مع التطور ، منطلقا من ذلك الإرث الذي لا يمكن تجاوزه فهو أساس الأمة ورمز حضارتها ، فالأمة التي لا موروث لها لا حضارة لها ، وكل جديد لها زائف زائل.

غير أنه في المفهوم الحداثي لرواد الحداثة عموما أن النص لا يجب أن يحمل فكرا واضحا أو مفهوما جديدا جليا وإنما عليه الاتسام بالغموض والابهام و اللافكرة .

**1-الغموض:**

تبدأ علاقة الشاعر بنصه من خلال المطلع وعلاقته باللغة المستعملة فيه ،معبرا عن الحالة الوجدانية التي تحرك مشاعره فتصدح روحه أو نفسه بكلمات مغايرة لما اعتاد عليه وهنا يمكن أن يخرج النص عن مساره فتنفجر الأحاسيس والمشاعر المكبوتة تصدح عاليا مجلجلة تولد بين لحظتين فاصلتين بين الوعي و اللا وعي بين صحو وخيال لتعبر بلغة غير مألوفة صادمة في بعض الأحيان تتسم بالغموض والإبهام .

لذلك عبر الشاعر "نزار قباني " عن الأمر من خلال رفضه الانقطاع عن التاريخ كما يفهمه البعض عن الحداثة أو تبرؤ من الذات لذلك تجده يقول :" إذا كانت طائفة من القوم تريد أن تبيع مكتبة جدي وعباءة أبي وغطاء صلاة أمي ومسبحتها وثوب زفافها بالمزاد العلني فلا ، وإذا كانت تريد أن تقطع شجرة عائلتي وتلغي ذاكرتي ، أو تسرق جواز سفري فلا ، وإذا أرادت أن تحرق كل كراساتي المدرسية التي كتبت عليها في طفولتي قواعد الصرف والنحو ومحفوظاتي من الشعر الجاهلي والأموي والعباسي فلا ،وأما الحداثة إذا كانت زهرة جديدة فيبستان التراث فأهلا بها "كانت هذه حداثة نزار التي لا يستغني فيها عن أصالته تراثه حياته وروح العروبة عنده أما غير هذا ودون هذا فلا ...

2-الفجائية :

لعل الانفجار الذي تحدثنا عنه سابقا حينما يبدأ الشاعر في الكتابة فتباغته أفكار وألفاظ عقلانية حينا ومجنونة أحيانا ، تفاجئه تعبيرات غاية في الجدة والغرابة لم تخطر على فكره سابقا ، هي مباغتة غير منتظرة ولا متوقعة تهتف خاطفة سريعة تنزاح آراءه وأفكاره من خلالها وقد تخرج عن مسارها الذي قد يكون حدده أو لم يحدده ، فيغدو كالمسلوب ، أو المغلوب على أمره فهي تسحبه سحبا وتجذبه لأفق جديد وعلى هذا قال نزار :"تجيئني القصيدة بشكل مباغت ، أحيانا تدخل علي وأنا في المقهى وأحيانا تركب معي الأوتوبيس ، فهي اذن حاضرة و لا تنتظر سوى الفرصة لتفتح الباب وتدخل " ، بحسب اعتقاد نزار فإن القصيدة لا تستأذن منه وكتابتها تأتيه في كل حين وفي كل مكان ، هي لا تأنف أن تأتيه في أي حالة هو فيها .

أما عن كونها دون مباغتة وفجأة تحمله على قول مالم يكن ليقوله ، ليس معناه أنه مسلوب العقل ودونما تفكير فيها ، وإنما لحظات الإبداع تتطلب تلك الحالة من الالهام .

3-الموسيقى:

لما تتلبس القصيدة الشاعر تجعله في حالة إبداع يختلف فيها عن أي شخص عادي وذلك لأنه يجنح فيها إلى اعتماد الكلم المرتبط بالنغم والموسيقى الأولية وهذا مالا يسطعه الإنسان العادي، فالنغم من جهة يسهل للشاعر تجاوز وضعه كإنسان عادي إلى إنسان فنان شاعر، بما يلغيه من توابع الاعتياد والتخلص من ثقل الكثافة المادية والزمانية ، حيث إن النغم يلغي المادية المكانية كلية ، ويكسب وجودا زمانيا أكثر مثالية ، ويقتحم المجال الذاتي .

ولعلنا نجد معظم شعراء الحداثة وباعترافاتهم يتحسسون النغم قبل الكلم ، ويتصورون موسيقى الشعر أو القصيدة عندهم ثم تتوضح لغة القصيدة و كلماتها ، كان هذا شأن" السياب" و"البياتي" و"نزار" وغيرهم كثير ، ذلك التوتر المشحون بنغم هو الذي تتولد عنه قصيدة .فالانفعال الأول الذي يصيب الشاعر ما هو سوى استجابة موسيقية تبعث في الذات حالة من الإيقاع المبهم الذي يبحث عن التشكيل .

**-الحداثة الشعرية في الجزائر :**

لقد حاول الكثير من الشعراء الجزائريين المغامرة في ارتياد عوالم تجريبية تحت سلطة بريق الحداثة و تحقيقا لحداثة إن على مستوى الشكل أو المضمون آملين في النهوض بالخطاب الشعري الجزائري بأنواعه المختلفة والمنوعة كالشكل الحر وقصيدة النثر على غرار "عز الدين ميهوبي" و"ربيعة جلطي"أو قبل ذلك حتى بدأ من حركة الشعر الحر باعتبار هذا النوع نسقا حداثيا بامتياز مغاير للأنساق والأصناف الأخر، غير أنهم لم يتمكنوا من الخروج عن النسق العربي المرسوم رغم المحاولات ،و راحت كل التجارب تصب في قالب عربي سائد.

وقد اشتغل أصحاب هذا التيار على تقنيات مشابهة لتلك التي اعتمدها النقد العربي ، فمن تقنيات الحداثة التي اعتمدها شعراء الجزائر : تقنيات الرمز ، القناع ، قصيدة الومضة ، تداخل الأجناس ، الإيغال في الانزياحات التركيبية ، والاعتناء بالعنوان ، توظيف التراث بمفهومه الواسع ، كل ذلك بنسب متفاوتة من شاعر إلى آخر انطلاقا من وعي كل شاعر بتجربته وأدواته ومدى امتلاكه لخلفيات فكرية ومعرفية أفقية وعمودية تؤهله للاشتغال بمستوى معين من الحداثة ، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى الشاعر " فاتح علاق " الذي اعتنى كثيرا بعناوينه الشعرية في ديوان " آيات من كتاب السهو "[[19]](#footnote-20) و" الجرح والكلمات " و " الكتابة على الشجر " في مجموعته الأولى اختار عنوانا ذا منزع استعاري صوفي واشتغل عليه اشتغالا حداثيا مركبا .

وهذا خطاب تناصي مركب يتقاطع فيه نص "عبد الله حمادي " مع الكثير من النصوص الأدبية ، التراثية والقرآنية و من ديوان " البرزخ والسكين هذه الأبيات :

**"...كان البدأ**

**وكان السبق ...وكانت الشجرة**

**ما فوقه هواء**

**ما تحته هواء**

**نور يراوده النور**

**ومعبر للسحر وأغنية للفتون ...**

**يتجلى الساحل العاجي**

**ممتد**

**وعرشه المعمور**

**في غيمة من عماء**

**يرزقني من حيث لا أعلم**

**كنت الكلمة**

**وكان الغشاء ...**

**مسكون بنافلة الأطوار**

**وبرزخ ما بين عافية وعاقبة**

تتجاذبني شفتان

واحدة للزهراوين

وأخرى خاتمة للبقرة..."

قد يتسم النص الشعري الجزائري بخصوصية الانتماء ، إلا أنه لا ينفك يمت بصلة وطيدة مماثلة مشابهة مطابقة أحيانا للنص المشرقي والعربي عموما ."

1. -ابن منظور: لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، مادة " حَ دَ ثَ ّ. [↑](#footnote-ref-2)
2. -سورةالكهف :الآية 69 [↑](#footnote-ref-3)
3. -سورة الأنبياء :الآية 2 [↑](#footnote-ref-4)
4. -سورة الزلزلة :الآية: 4-5 [↑](#footnote-ref-5)
5. -الخليل بن أحمد الفراهدي ، كتاب العين ،تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، دط ، 1992،ص 177. [↑](#footnote-ref-6)
6. -شوقي ضيف وآخرون : المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية ، مصر ،ط4، 2004، مادة" ح د ث "، ص160 [↑](#footnote-ref-7)
7. -عوض محمد القرني : الحداثة في ميزان الإسلام ،منقول عن مقال بعنوان : اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ،مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد3 ، ص11. [↑](#footnote-ref-8)
8. modernitaويكيبيديا الايطالية/ [↑](#footnote-ref-9)
9. -حمدي عبيد: الحداثة ، الثلاثاء 26مايو 2009، [www.alrassed.net](http://www.alrassed.net) الموقع الالكتروني: [↑](#footnote-ref-10)
10. -محمد بنيس :حداثة السؤال، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ،ط1، 1985م،ص143،144. [↑](#footnote-ref-11)
11. صالح جواد طعمة : الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة ، فصول ، الهيئة العامة ، للكتاب ، القاهرة ، مج4، ع4، 1984، ص15. [↑](#footnote-ref-12)
12. -ديزيرة سقال : نشوء الحداثة في الشرق: مجلة الباحث ، بيروت ،ع38، السنة السابعة ، 1985، ص61. [↑](#footnote-ref-13)
13. -فاضل ثامر ، مدارات نقدية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1، 1987، ص، 187،188. [↑](#footnote-ref-14)
14. -مجلة فصول المجلد الرابع ، العدد الثالث ، مقال : اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ص،ص26،27 [↑](#footnote-ref-15)
15. -محمد بنيس: حداثة السؤال ، مرجع سابق ، ص144،147. [↑](#footnote-ref-16)
16. -فاضل ثامر : مدارات نقدية ، مرجع سابق ، ص187،188. [↑](#footnote-ref-17)
17. -ديزيرة سقال : نشوء الحداثة في الشرق ، مرجع سابق، ص72 [↑](#footnote-ref-18)
18. -الموقع الالكتروني :aljazeera.net،26/10/2017 ،،محمد دوبال :الشعر العربي ...بين الحداثة المقدسة والحداثة المدنسة [↑](#footnote-ref-19)
19. -آفاتح علاق:يات من كتاب السهو : ،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، دت ، دط. [↑](#footnote-ref-20)